العذاب لرأيت امرا عظيما وقرئ بالتاء ومعناه لو يرى الذين ظلموا انفسهم عند رؤية العذاب حين
يقذف بهم في النار لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوه من الاصنام لا ينفعهم اذ يرون العذاب ان القوة
لله جميعا معناه لو رأى الذين يشركون في الدنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرون العذاب ان القوة
ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا ان القوة له جميعا وان الامر ليس
ما كانوا عليه من الشرك والجحود وان الله شديد العذاب قوله عز وجل اذ تبرأ اي تنزه وتباعد الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب اي القادة من مشركي الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة
حين يجمع القادة والاتباع فيتبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن
انفسهم فكيف عن غيرهم وقيل ان الشياطين يتبرؤون من الانس والقول هو الاول وتقطعت بهم
الاسباب يعني التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التي كانت
بينهم يتوادون ويعملون بها في الدنيا وقيل العهود والحلف التي كانت بينهم يتوادون عليها واصل السبب
في اللغة الحبل الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به الى شيء من ذريعة او قرابة او مودة
سببا تشبيها بالحبل الذي يصعد به وقال الذين اتبعوا يعني الاتباع لو ان لنا كرة اي رجعة الى
الدنيا فنتبرأ منهم اي من المتبوعين كما تبرؤوا منا اليوم كذلك يريهم الله اي كما اراهم العذاب يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه كانه انحسر
عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى يريهم السيئات التي عملوها وارتكبوها في
الدنيا فيتحسرون لم عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيتندمون على تضييعها وقيل يرفع
لهم منازلهم في الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يتحسرون
ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم وما هم بخارجين من النار قوله عز وجل يا ايها الناس كلوا
مما في الارض حلالا طيبا نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على انفسهم
من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والحام والحلال المباح الذي احله الشرع وانحلت عقدة الحظر
عنه واصله من الحل الذي هو نقيض العقد والطيب ما يستلذ والمسلم لا يستطيب الا الحلال ويعاف
الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان النجس تكرهه النفس وتعافه ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي
لا تسلكوا سبيله وقيل معناه لا تأتموا به ولا تتبعوا آثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تتعدوا ما احل
الله الى ما يدعوكم اليه قيل هي النذور في المعاصي وقيل هي المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير
بقوله تعالى انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وقد اظهر الله تعالى عداوته بابائه السجود لآدم
ثم بين عداوته ما هي فقال تعالى انما يامركم بالسوء يعني بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويحزنه
والفحشاء يعني بها المعاصي وما قبح من قول وفعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء
ما يجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل وان تقولوا على الله ما لا تعلمون يعني من
تحريم الحرث والانعام وتتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم يأذن فيها الله ولم ترد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي
يجدها الانسان في قلبه وماهية هذه الخواطر حروف واصوات منتظمة خفية تشبه الكلام
في الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الانسان واما
الشيطان كالمعرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم

ان

ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وانما قدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان قوله
عز وجل واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله هذه قصة مستأنفة والضمير في لهم يعود الى غير مذكور
قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك
ابن عوف بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه الآية وقيل ان الآية
متصلة بما قبلها والضمير في لهم يعود على قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهم
مشركو العرب قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا يعني من عبادة الاصنام وقيل ان الضمير في لهم
يعود على قوله يا ايها الناس كلوا والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعني في تحليل ما حرموا على انفسهم
قالوا بل نتبع ما الفينا يعني وجدنا عليه آباءنا من التحريم والتحليل قال الله تعالى اولو كان آباؤهم
يعني الذين يتبعونهم لا يعقلون شيئا يعني لا يعلمون شيئا من امر الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك
انهم يعقلون امر الدنيا ولا يهتدون اي الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى ومثل الذين
كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء النعيق صوت الراعي بالغنم ولا يقال نعق الا للراعي
بالغنم وحدها ومعنى الآية ومثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي الذي
ينعق بالغنم وهي لا تسمع الا صوتا فصار الداعي الى الله هو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي
وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تفقه المراد وكذلك
الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين
كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق بمخارج عن الناعق وقيل معناه ومثل
الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم فهو لا ينتفع من نعيقه
بشيء غير انه عناء من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها الا العناء والبلاء
والفرق بين هذا القول والقول الذي قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهي الاصنام وفي القول
الاول المحذوف هو الراعي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم صم بكم عمي لما شبههم بالبهائم زاد
في تبكيتهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذي
لا يسمع فقال بكم لا يسمع ولا يعقل كالاصم ابكم اي عن النطق بالحق عمي اي عن طريق الهدى فهم
لا يعقلون قيل المراد بالعقل العقل الكسبي لان العقل الطبيعي كان حاصلا فيهم قوله عز وجل يا ايها
الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم قيل ان الامر في قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ
النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا
من هذه العوارض والطيب هو الحلال م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر
اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام
فانى يستجاب له قوله اشعث اغبر هو البعيد العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ
من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن اكل المستلذ من المطاعم فاباح الله تعالى لهم ذلك واشكروا
لله يعني على نعمه ان كنتم اياه تعبدون اي اشكروا الله الذي رزقكم هذه النعم ان كنتم
تخصونه بالعبادة وتقرون انه المنعم لا غيره وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه عليها

Copyright © King Saud University